المَرْحَلَةُ الثَّالِثَةُ

وهى آخر مرحلة من مراحل حياة الرسولﷺ تمثل النتائج التى أثمرتها دعوته الإسلامية بعد جهاد طويل وعناء متاعب وقلاقل وفتن واضطرابات ومعارك وحروب دامية واجهتها طيلة بضعة وعشرين عامًا .

وكان فتح مكة هو أعظم فتح حصل عليه المسلمون فى هذه الأعوام ، تغير لأجله مجرى الأيام ، وتحول به جو العرب فقد كان الفتح حدًّا فاصلاً بين المدة السابقة عليه وبين ما بعده ، فإن قريشًا كانت فى نظر العرب حماة الدين وأنصاره ، والعرب فى ذلك تبع لهم ، فخضوع قريش يعتبر القضاء الأخير على الدين الوثنى فى جزيرة العرب .

ويمكن أن نقسم هذه المرحلة إلى صفحتين:

١- صفحة المجاهدة والقتال .

٢- صفحة تسابق الشعوب والقبائل إلى اعتناق الإسلام .

وهاتان الصفحتان متلاصقتان تناوبتا فى هذه المرحلة ، ووقعت كل واحدة منهما خلال الأخرى ، إلا أنا اخترنا فى الترتيب الوضعى أن نأتى على ذكر كل من الصفحتين متميزة عن الأخرى ؛ ونظرًا إلى أن صفحة القتال ألصق بما مضى ، وأكثر مناسبة من الأخرى قدمناها فى الترتيب[1] .

* * *

(١) الرحيق المختوم ص ٣٥٥ .

غَزْوَةُ حُنَيْنٍ

تَارِيخُهَا وَأَسْبَابُهَا:

كانت غزوة حنين فى شوال سنة ثمان من هجرة النبى ﷺ وسببها: أن الله - جل جلاله- حينما فتح على رسوله مكة، ودانت له قريش بعد بغيها وعدوانها، مشت أشراف هوازن وثقيف بعضها إلى بعض، وقد توغر صدورهم النصر الذى آتاه الله رسوله والمؤمنين.

فحشدوا حشودًا كبيرة وجمع أمرهم مالك بن عوف سيّد هوازن، وأمرهم فجاءوا معهم بأموالهم ونسائهم وأبنائهم؛ حتى نزلوا بأوطاس - مكان بين مكة والطائف- وإنما أمرهم بذلك حتى يجد كل منهم ما يحبسه عن الفرار وهو الدفاع عن الأهل والمال والولد! وأجمعوا المسير إلى رسول الله ﷺ فخرج إليهم ﷺ لست ليال خلون من شوال فى اثنى عشر ألف من المسلمين، عشرة آلاف من أهل المدينة، وألفين من أهل مكة[1].

مُجَرِّبُ الحُرُوبِ يُغَلِّطُ رَأْيَ القَائِدِ:

ولما نزل مالك بن عوف بأوطاس اجتمع إليه الناس، وفيهم دُرَيْد بن الصِّمَّة وهو شيخ كبير وليس فيه إلا رأيه ومعرفته بالحرب، وكان شجاعًا مجربًا قال دريد: بأى واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم مَجَالُ الخيل، لا حزن[2] ضَرِسٌ[3] ولا سَهْلٌ دَهِسٌ[4] ما لى أسمع رُغاء البعير ونُهاق الحمير وبكاء الصبى وثغاء الشاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس نساءهم وأموالهم وأبناءهم، فدعا مالكًا وسأله عما حمله على ذلك فقال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم، فقال: راعى ضأن والله، وهل يرد المنهزم شيئًا؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحْتَ فى أهلك ومالك ثم سأل عن بعض البطون والرؤساء، ثم قال: يا مالك إنك لم تصنع بتقديم بَيْضَة هوازن إلى نحور الخيل شيئًا، ارفعهم إلى ممتنع بلادهم وعلياء قومهم، ثم الق الصباة على متون الخيل؛ فإن كانت لك لحق بك من وراءك،

---

(١) فقه السيرة للبوطي ٢٩٧ - ٢٩٨.

(٢) الحزن: ما ارتفع من الأرض.

(٣) الضرس: أرض بها حجارة محددة.

(٤) الدهس: ما لان من الأرض.

وإن كانت عليك ألفاك ذلك، وقد أحرزت أهلك ومالك.

ولكن مالكًا - القائد العام- رفض هذا الطلب قائلاً: والله لا أفعل؛ إنك قد كبرت وكبر عقلك، والله لتطيعني هوازن أو لأتَّكَئَنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأى، فقالوا: أطعناك، فقال دريد: هذا يوم لم أشهده، ولم يَفُتْنِي.

يـــا ليـــتني فـــيها جـــذع ... أخُـــبّ فـــيها وأضـــع[1]

أقـــود وطفـــاء الـــزمع[4] ... كأنهـــا شـــاه صـــدع[2][3]

سِلاحُ اسْتِكْشَافِ العَدُوِّ:

وبعث مالك عيونًا له يأتونه بالخبر فرجعوا إليه، وقد تفرقت أوصالهم وذهبت عقولهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالاً بيضًا على خيل بُلق؛ فوالله ما تماسكنا أن حل بنا ما ترى، ولم ينهه ذلك عن وجهه، ولم يثنه عن عزمه على قتال رسول الله ﷺ والمسلمين، والرجال الذين رأتهم العيون هم الملائكة إذ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [التوبة: ٢٦].

سِلاحُ اسْتِكْشَافِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

ولما سمع بهم نبى الله ﷺ، بعث إليهم عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى، وأمره أن يدخل فى الناس، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم[5] ففعل.

النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَعِيرُ الدُّرُوعَ مِنْ صَفْوَانَ بنِ أُمَيَّةَ:

فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ليلقاهم، ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعًا له وسلاحًا؛ فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال: «**يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدًا**» فقال: صفوان أغصبًا يا محمد، قال: «**بل عارية ومضمونة؛ حتى نؤديها إليك**»

---

(١) أخب وأضع: ضربان من السير.

(٢) صدع: شيء بين شيئين من أي نوع كان.

(٣) الرحيق المختوم ٣٥٦ - ٣٥٧.

(٤) وطفاء الزمع: خيل طويلة الشعر.

(٥) سيرة الرسول أبو عمار ٥٧١ - ٥٧٢.

قال: ليس بهذا بأس فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها ففعل[١].

الرَّسُولُ ﷺ يُغَادِرُ مَكَّةَ إِلَى حُنَيْنٍ:

وفي يوم السبت السادس من شهر شوال سنة ٨هـ، غادر رسول الله ﷺ مكة، وكان ذلك اليوم التاسع عشر من يوم دخوله في مكة، واستعمل على مكة عتَّاب بن أسيد.

ولما كان عشية جَاءَ فَارِسٌ فَقَالَ إِنِي طَلَعْتُ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا أَنَا بِهَوَازِنَ عَلَى بَكْرَةِ آبَائِهِمْ بِظُعُنِهِمْ وَنَعَمِهِمْ وَشَائِهِمْ اجْتَمَعُوا إِلَى حُنَيْنٍ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، وتطوع للحراسة تلك الليلة أنس بن أبي مرثد الغنوي.

وفي طريقهم إلى حنين رأوا سدرة عظيمة خضراء، يقال لها: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، كانت العرب تغلق عليها أسلحتهم، ويسبحون عندها ويعكفون، فقال بعض أهل الجيش لرسول الله ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط فقال: الله أكبر، قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال أهل موسى: اجعل لنا آلهًا كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون، إنها السّنن، لتركبن سَنَنَ، من كان قبلكم[٢].

ولما رأى بعض الطلقاء[٣] جيش المسلمين قالوا: لن نغلب اليوم من قلة، ودخل الإعجاب في نفوسهم، وكان قد شق ذلك على رسول الله ﷺ[٤].

الجَيْشُ الإِسْلَامِيُّ يُبَاغِتُ بِالرُّمَاةِ وَالمُهَاجِمِينَ:

انتهى الجيش الإسلامي إلى حنين، الليلة التي بين الثلاثاء والأربعاء لعشر خلون من شوال، وكان مالك بن عوف قد سبقهم، فأدخل جيشه بالليل في ذلك الوادي، وفرق كمناءه في الطرق والمداخل والشعاب والأخباء والمضايق، وأصدر إليهم أمره بأن يرشقوا المسلمين أول ما طلعوا، ثم يشدوا شدة رجل واحد، وبالسّحَر عبأ رسول الله

---

(١) ابن هشام ٢ / ١٦٦.
(٢) الرحيق المختوم ص ٣٥٧.
(٣) الطلقاء: هم الذين أطلقهم النبي ﷺ بعد فتح مكة وخلى سبيلهم.
(٤) السيرة النبوية للصلابي ٢ / ٤٨٩.

ﷺ جيشه، وعقد الألوية والرايات، وفرقها على الناس، وفى عَمَاية الصبح استقبل المسلمون وادى حنين، وشعروا ينحدرون فيه، وهم لا يدرون بوجد كمناء العدو فى مضايق هذا الوادى، فبيناهم ينحطون إذا تمطر عليهم النبال، وإذا كتائب العدو قد شدت عليهم شدة رجل واحد، فانشمر المسلمون راجعلين، لا يلوى أحد على أحد وكانت هزيمة منكرة، حتى قال أبو سفيان وهو حديث عهد بالإسلام: لا تنتهى هزيمتهم دون البحر - الأحمر - وصرخ جَبَلَةُ أو كَلَدَةُ بن الحَنْبَل: ألا بطل السّحْر اليوم.

وانحاز رسول الله ﷺ جهة اليمين وهو يقول: «**هَلُمُوا إلَيَّ أيها الناس، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله**» ولم يبق معه فى موقفه إلا عدد قليل من المهاجرين والأنصار [1].

شَجَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَثَرُهَا فِي كَسْبِ المَعْرَكَةِ:

وحينئذ ظهرت شجاعة النبي ﷺ التي لا نظير لها، فطفق يركض بغلته قبل الكفار وهو يقول:

أنـــا الـــنبي لا كـــذب أنـــا ابـــن عـــبد المطلـــب

ثم نزل رسول الله ﷺ فاستنصر ربه قائلاً: «**اللهم أنزل نصرك**».

روى مسلم عن العَبَّاس رضى الله عنه قال: شَهِدْتُ مَعَ رَسُول اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْن، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَهوعَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُول اللَّهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُول اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ**» [2] وَكَانَ رَجُلاً صَيِّتًا فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي يا أَصْحَابُ السَّمُرَةِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي الأَنْصَارِ، يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ! يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ! قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتْ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ من الْخَزْرَجِ، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته، كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فَقَالَ: «**الآن حَمِيَ الْوَطِيس**»، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَصَيَاتٍ من الأرض فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ ثُمَّ قَالَ: «**انْهَزَمُوا وَرَبِّ**

---

(١) الرحيق المختوم ٣٥٧ - ٣٥٨.

(٢) السمرة: هي الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية.

مُحَمَّدٍ».

فما هي إلا ساعات قلائل - بعد رمى القبضة- حتى انهزم العدو هزيمة منكرة، وقتل من ثقيف وحدهم نحو السبعين، وحاز المسلمون ما كان مع العدو من مال وسلاح وظُعُن، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذا التطور فى قوله: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [التوبة: ٢٥ - ٢٦] (١).

مَنْ قَتَلَ كَافِرًا فَلَهُ سَلَبُهُ:

وكان النبىﷺ يشجع أصحابه على أن يقتلوا أكبر عدد من المشركين، فجعل لكل من يقتل كافرًا الحق فى أن يأخذ كل ما معه من متعلقات.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: «يَوْمَئِذ - يعنى يوم حنين - مَنْ قَتَلَ كَافِرًا فَلَهُ سَلَبُهُ» فَقَتَلَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَئِذٍ عِشْرِينَ رَجُلاً، وَأَخَذَ أَسْلاَبَهُمْ (٢).

حَرَكَةُ المطَارَدَة:

تفرق من نجا من مقاتلة المشركين فى الجبال والوديان بعد هزيمتهم فى معركة حنين، ولجأت مجموعة كبيرة منهم إلى أوطاس، وعسكرت مجموعة أخرى منهم فى نخلة، أما غالبية من انهزم من ثقيف فقد تبعوا قائدهم مالك بن عوف النصرى إلى حصونهم بالطائف، وقد لاحق مقاتلة المسلمين الفارين حسب توجيهات النبىﷺ، حيث بعث أبا عامر عبيد بن سليم بن حضار الأسلمى على رأس قوة من المسلمين إلى أوطاس فقاتلهم.

عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعرى، قَالَ: لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّﷺ مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ، فَقُتِلَ دُرَيْدٌ، وَهَزَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ قَالَ أَبُو مُوسَى: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ فَرُمِيَ أَبُوعَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ رَمَاهُ جُشَمِيٌّ بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ يَا عَمِّ !مَنْ رَمَاكَ؟ فَأَشَارَ أبو عامر إِلَى أَبِي مُوسَى، فَقَالَ: إن ذلك

(١) الرحيق المختوم ٣٥٧ - ٣٥٩، السيرة النبوية للصلابي ٢ / ٤٩٢ - ٤٩٣، فقه السيرة للبوطي ٢٩٨.
(٢) سيرة الرسول أبو عمار ص ٥٨٣.

قَاتِلِي تـراه ذلك الذى رمانى قال أبو موسى: فَقَصَدْتُ لَهُ، فَلَحِقْتُهُ فَلَمَّا رَآنِي وَلَّى عنى ذاهبًا، فَاتَّبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلا تَسْتَحْيِي؟ ألست عربيًا؟ ألا تثبت؟ فَكَفَّ فالتقت أنا وهو فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ.

ثُـمَّ رجعـت إلى أَبِـي عَامِر، فقلت: قد قتل الله صاحبك، قال: فانتزع هذا السهم، فنـزعته، فنـزا مـنه الماء [1] فقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي أنطلق إلى رسول الله ﷺ فاقرئه السَّلامَ، ثم قُـلْ لَهُ إنه يقول لك اسْتَغْفِرْ لِي، قال: وَاسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ يَسِيرًا، ثُمَّ مَاتَ فلمـا رَجَعْـتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، دخلت عليه، وهو فِي بَيْتِه عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ، وقَـدْ أَثَّـرَ رِمَـالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِ رسول الله ﷺ وَجَنْبَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا، وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ، وَقَالَت لَهُ: قال: قل له اسْتَغْفِرْ لِي، فَدَعَا رسول الله ﷺ بِمَا فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: **«اللَّهُـمَّ اغْفِرْ لأبي عامر عبدك»**؛ حتـى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: **«اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك، أو من الناس»** فقلـت: يا رسول الله! ولى فاستغفر، فقال: **«اللهم اغفر لعَـبْد اللَّـه بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلاً كَرِيمًا، قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: إِحْدَاهُمَا لأَبِي عَامِرٍ، وَالأُخْرَى لأَبِي مُوسَى»** [2].

الغَنَائِـمُ:

وكانت الغنائم: السبى ستة آلاف رأقية فضة، أمر رسول الله ﷺ بجمعها، ثم حبسها بالجعـرانة جعـل علـيها مـسعود بـن عمـرو الغفـارى، ولم يقـسمها حتى فرغ من غزوة الطائف.

وكانـت فـى الـسبى الـشيماء بنت الحارث السعدية، أخت رسول الله ﷺ عرفت له نفـسها؟ فعرفها بعلامة فأكرمها، وبسط لها رداءه، وأجلسها عليه، ثم منّ عليها، وردّها إلى قومها.

غَزْوَةُ الطَّائِفِ:

وهـذه الغزوة فى الحقيقة امتداد لغزوة حنين، وذلك أن معظم فلول هوازن وثقيف دخلـوا الطائف مع القائد العام - مالك بن عوف- وتحصنوا بها، فسار إليهم رسول الله

---

(١) فنزا منه الماء: ظهر وجرى.

(٢) سيرة الرسول أبو عمار ٥٨٤ - ٥٨٥.

ﷺ بعد فراغه من حنين وجمع الغنائم بالجعرانة فى الشهر نفسه- شوال ٨ هـ، وفى طريقه ﷺ إلى الطائف مر على نخلة اليمامة، ثم على قرن المنازل، ثم على لَيَّة، وكان هناك حصن لمالك بن عوف فأمر بهدمه، ثم واصل سيره حتى انتهى إلى الطائف فنزل قريباً من حصنه، وعسكر هناك وفرض الحصار على أهل الحصن.

ودام الحصار مدة غير قليلة، ففى رواية أنس عن مسلم: أن مدة حصارهم كانت أربعين يومًا، وعند أهل السير خلاف فى ذلك، وقيل: خمسة عشر يومًا، وقيل: بضعة عشر، وقيل: ثمانية عشر، وقيل: خمسة عشر.

ووقعت فى هذه المرة مراماة، ومقاذفات، فالمسلمون أول ما فرضوا الحصار رماهم أهل الحصن رميًا شديدًا، كأنه رِجل جراد، حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة، وقتل منهم اثنا عشر رجلاً، واضطروا إلى الارتفاع عن معسكرهم إلى مسجد الطائف اليوم، فعسكروا هناك.

ونصب النبى ﷺ المنجنيق على أهل الطائف، وقذف به القذائف، حتى وقعت شدخة فى جدار الحصن، فدخل نفر من المسلمين تحت دبابة، ودخلوا بها إلى الجدار ليحرقوه، فأرسل عليهم العدو سكك الحديد عليهم محماة بالنار فخرجوا من تحتها، فرموهم بالنبل وقتلوا منهم رجالاً.

وأمر رسول الله ﷺ - كجزء من سياسة الحرب لإلجاء العدو إلى الاستسلام- أمر بقطع الأعناب وتحريقها، فقطعها المسلمون قطعًا ذريعًا، فسألته ثقيف أن يدعها لله والرحم، فتركها لله والرحم، ونادى مناديه ﷺ: أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر، فخرج إليهم ثلاثة وعشرون رجلاً، فيهم أبو بكرة، تسور حصن الطائف، وتدلى منه ببكرة مستديرة يستقى عليها، فكناه رسول الله ﷺ: «أبا بكرة» فأعتقهم رسول الله ﷺ ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يمونه، فشق ذلك على أهل الحصن مشقة شديدة، ولما طال الحصار استعصى الحصن، وأصيب المسلمون بما أصيب من رشق النبال، وبسكك الحديد المحماة، وكان أهل الحصن قد أعدوا فيه ما يكفيهم لحصار سنة، استشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوِيَة الدِّيلى فقال: هم ثعلب فى جحر، وإن أقمت عليه أخذته، إن تَركته لم يضرك، حينئذ عزم رسول الله ﷺ على رفع الحصار والرحيل، فأمر عمر بن الخطاب فأذن في الناس: «إِنَّا قَافِلُونَ غداً إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، فَثَقُلَ

عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: نَذْهَبُ وَلا نَفْتَحُهُ؟ فقال الرسول ﷺ «فاغدَوْا على القتال، فغدوا فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ»، فَقَالَ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، فسروا بذلك وأذعنوا، ورجعوا يرحلون ورسول الله ﷺ يضحك، ولما ارتحلوا واستقلوا قال: «قولوا: آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون» وقيل: يا رسول الله، ادع على ثقيف، فقال: «اللهم اهد ثقيفًا، وائت بهم».

قِسْمَةُ الغَنَائِمِ بالجِعْرَانَة:

ولما عاد رسول الله ﷺ بعد رفع الحصار عن الطائف مكث بالجعرانة بضع عشر ليلة لا يقسم الغنائم، ويتأتى بها، يبتغي أن يقدم عليه وفد هوازن تائبين فيحرزوا ما فقدوا، ولكنه لم يجئه أحد، فبدأ بقسمة المال، ليسكت المتطلعين من رؤساء القبائل وأشراف مكة، فكان المؤلفة قلوبهم أول من أعطى وحظى بالأنصاب الجزلة.

أعطى أبا سيفيان بن حرب أربعين ومائة من الإبل، فقال: ابنى يزيد؟ فأعطاه مثلها، فقال: ابنى معاوية؟ فأعطاه مثلها، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل، ثم سأله مائة أخرى، ثم مائة ثم مائة، وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل، ثم مائة ثم مائة.

وأعطى الحارث بن كَلَدة مائة من الإبل، وكذلك أعطى رجالاً من رؤساء قريش وغيرهم مائة مائة من الإبل، وأعطى آخرين خمسين خمسين وأربعين أربعين؛ حتى شاع فى الناس أن محمداً يعطى عطاء، ما يخاف الفقر، فازدحمت عليه الأعراب يطلبون المال؛ حتى اضطروه إلى شجرة، فانتزعت رداءه فقال: أيها الناس ردوا عليَّ ردائي، فوالذى نفسى بيده لو كان عندى عدد شجرتها تهامة نعمًا لقسمته عليكم، ثم ما ألفيتمونى بخيلاً ولا جبانًا ولا كذابًا، ثم قام إلى جنب بعيره فأخذ من سنامه وبرة، فجعلها بين إصبعه ثم رفعها، فقال: أيها الناس والله ما لي من فيئكم، ولا هذه الوبرة إلا الخمس، والخمس مردود عليك.

وبعد إعطاء المؤلفة قلوبهم أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت بإحضار الغنائم والناس، ثم فرضها على الناس، فكانت سهامهم لكل رجل إما أربعًا من الإبل، وإما أربعين شاة؛ فإن كان فارسًا أخذ اثنى عشر بعيرًا أو عشرين ومائة شاة [1].

---

(١) الرحيق المختوم ٣٥٩ - ٣٦١.

ذَهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ وَعَادَ الأَنْصَارُ بِالبَشِيرِ وَالنَّذِيرِ ﷺ :

ولما قسم النبى ﷺ الغنائم بين الناس وجد الأنصار فى قلوبهم ، وحزنوا وظنوا أن النبى ﷺ نسيهم ، فجمعهم النبى ﷺ ودار بينه وبينهم هذا الحوار الرقيق الذي يجعل القلب يبكي الدماء بدل الدموع[١] .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضى الله عنه قَالَ: لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا ، فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ الْقَالَةُ[٣] حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لقد لَقِيَ والله رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ هى الْحَيَّ من الأنصار قد وَجَدوا عليك فى أنفسهم ؛ لما صنعت فى هذا الفيء الذى أصبت ، فقسمت فى قومك ، وأعطيت عطايا عظامًا فى قبائل العرب ، ولم يك فى هذا الحىّ من الأنصار منها شيء ، قال: «**فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَاكَ يَا سَعْدُ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا إِلا مِنْ قَوْمِي ، قَالَ: «**فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ**»[٢] .

قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ ، فَجَمَعَ الأَنصار فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ ، فَدَخَلُوا ، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ، وَجِدَةٌ[٣] وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلالاً فَهَدَاكُمْ اللَّهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ!**» قَالُوا: بَلَى ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ .

ثم قال: أَلا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ قَالُوا وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ: «**قَالَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ وَمَخْذُولاً[٤] فَنَصَرْنَاكَ وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَعَائِلاً فَأَغْنَيْنَاكَ أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي**

---

(١) سيرة الرسول أبو عمار ص ٥٩٣ .

(٢) الحظيرة: شبه الزريبة التي تصنع للإبل والماشية لتمنعها وتكف منها العوادي .

(٣) الموجدة: العتاب .

(٤) مخذولاً: متروكًا .

لُعَاعَة[١] مِنْ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلامِكُمْ أَفَلا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَـذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رِحَالِكُمْ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتْ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ اللَّهُمَّ ارْحَمْ الأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ» قَالَ فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقْنَا[٢] [٣].

قُدُومُ وَفْدِ هَوَازِن:

وبعد توزيع الغنائم أقبل وفد هوازن مسلمًا، وهم أربعة عشر رجلاً، ورأسهم زهير ابن صُرَد، وفيهم أبو برقان عم رسول الله ﷺ من الرضاعة، فأسلموا وبايعوا ثم قالوا: يا رسول الله، إن فيمن أصبتم الأمهات والأخوات والعمات والخالات، وهن مخازى الأقوام:

فامنن علينا رسول الله فى كرم	فإن المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها	إذ فوك تملؤه من محضها الدر

وذلك فى أبيات، فقال: (إن معى من ترون، وإن أحب الحديث إليّ أصدقه، فأبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم) قالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئًا، فقال: إذا صليت الغداة - أى صلاة الظهر - فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المؤمنين، ونستشفع بالمؤمنين إلى رسول الله ﷺ أن يرد إلينا سبينا)، فلما صلى الغداة قاموا: فقالوا ذلك، فقال ﷺ: «**أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم، وسأسأل لكم الناس**» فقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عُيَنَة بن حصن: أما أنا وبنو فَزَارَة فلا، وقال العباس ابن مِرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، فقال العباس بن مرداس: وهنتمونى.

فقال رسول الله ﷺ: «**إن هؤلاء القوم قد جاءوا مُسْلمينَ**»، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انْتَظَرَهُمْ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حِينَ قَفَلَ مِنْ الطَّائِفِ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ

---

(١) لعاعة: بقلة خضراء ناعمة شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها.

(٢) أخرجه أحمد ١١٣٢٢.

(٣) ابن هشام (٢ / ١٩٤ - ١٩٥).

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ قَالُوا فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلاءِ قَدْ جَاءُونَا تَائِبِينَ وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيِّبَ بِذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ فَقَالَ النَّاسُ قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّا لا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعُوا إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ»**.

فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم لم يتخلف منهم أحد غير عينية بن حصن ؛ فإنه أبى أن يرد عجوزًا صارت فى يديه منهم ، ثم ردها بعد ذلك ، وكسا رسول الله ﷺ قبطية قبطية[1] .

عُمْرَةُ الرَّسُولِ وَعَوْدَتُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ :

ثم خرج الرسول ﷺ من الجعرانة معتمرًا ، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته انصرف راجعًا إلى المدينة ، وقد استخلف عتاب بن أسيد على مكة ، وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس فى الدين ، ويعلمهم القرآن ، وكانت عودته إلى المدينة لست ليال بقين من ذى القعدة سنة ٨ هـ[2] .

مِنْ نَتَائِجِ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ وَالطَّائِفِ :

١- انتصار المسلمين على قبيلتى هوازن وثقيف فى هذه الغزوة .

٢- كانت غزوة حنين والطائف آخر غزوات النبى ﷺ لمشركى العرب .

٣- رجوع كثير من أهل مكة والأعراب بغنائم إلى مواطنهم ؛ تأليفًا لهم لدخول الإسلام ، وحصول الأنصار على وسام عظيم ، وهو شهادة رسول الله ﷺ لهم بالإيمان والدعاء لهم ، ولأبنائهم وأحفادهم ورجوعهم برسول الله ﷺ إلى المدينة .

٤- انضمام كوكبة مباركة من قيادة أهل مكة وهوازن إلى الإسلام وأصبحوا حربًا وضروسًا على الأوثان والأصنام والمعابد الجاهلية فى الجزيرة العربية ، كما كان لقبيلة هوازن دور كبير فى مجاهدات أهل الطائف والتضييق عليهم حتى أسلموا .

---

(١) الرحيق المختوم ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(٢) ابن هشام (٢ / ١٩٦) .

٥- توسعت الدولة الإسلامية وامتد نفوذها، وأصبح لرسول الله ﷺ أمراء بمكة، وعلى قبيلة هوازن، وصارت تلك الأماكن جزءًا من الدولة الإسلامية التى عاصمتها المدينة المنورة، وأصبح بالإمكان أن يرسل رسول الله ﷺ بعوثًا دعوية بدون خوف أو وجل من أحد، وصارت المدينة بعد الفتح تستقبل وفود المستجيبين، وأخذت حركة السرايا تستهدف الأوثان والأصنام لتهديمها، فقد أصبح استئصال وجودها من الجزيرة سهلاً، ونظم رسول الله ﷺ فريضة الزكاة فكلف من يقوم على جمعها من القبائل التابعة للدول[1].

العِبَرُ وَالعِظَاتُ:

١- تعتبر غزوة حنين هذه درسًا فى العقيدة الإسلامية وقانون الأسباب والمسببات من نوع ذلك الدرس الذى أوحت به غزوة بدر، بل متمماً له.

فإذا كانت وقعة بدر قد قررت للمسلمين أن القلة لا تضرهم شيئًا فى جنب كثرة اعدائهم، إذا كانوا صابرين ومتقين؛ فإن غزوة حنين قد قررت للمسلمين أن الكثرة أيضًا لا تفيدهم إذا لم يكونوا صابرين ومتقين، وكما نزلت آيات من كتاب الله تعالى فى تقرير عبرة بدر، فقد نزلت آيات منه أيضًا فى تقريرالعبرة التى ينبغى أن تؤخذ من حنين.

كان المسلمون فى بدر أقل عددًا منهم فى أى موقعة أخرى ومع ذلك فلم تضرهم القلة شيئاً بسبب صدق إسلامهم ونضج إيمانهم وشدة ولائهم لله وللرسول ﷺ.

وكان المسلمون فى حنين أقل عددًا منهم في أي موقعة أخرى ومع ذلك فلم تضرهم القلة شيئًا بسبب صدق إسلامهم ونضج إيمانهم وشدة ولائهم لله ورسوله، وكان المسلمون في حنين أكثر عددًا منهم فى أى موقعة أخرى خاضوها من قبل، ومع ذلك فلم تنفعهم الكثرة شيئًا، بسبب تلك الجماهير التى لم يتمكن الإيمان بعد فى نفوسهم، ولم يتغلغل معنى الإسلام بعد فى أعماق أفئدتهم[2].

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٥١٧ - ٥١٨).

(٢) فقه السيرة للبوطي ص ٣٠٢.

٢- استعمل النبى ﷺ فى حصاره للطائف أسلحة جديدة لم يسبق له أن أستعملها من قبل مثل المنجنيق والدبابة والحسك الشائك، وفى هذا "إشارة إلى قادة الأمة خصوصًا، والمسلمين عمومًا أن لا يعطلوا عقولهم وتفكيرهم من أجل الاستفادة من النافع، والجديد الذى يحقق للأمة مصلحة الدارين، ويدفع عنها شرور أعدائها [١].

٣- قام رسول الله ﷺ بتأليف قلوب أهل مكة الذين أسلموا عام الفتح بمزيد من الغنائم من قبيل الإغراء والتشجيع فى أول الأمر، حتى يخالط الإيمان بشاشة القلب، ويتذوق حلاوته.

ويوضح الشيخ محمد الغزالى حقيقة هذا الأمر فى مثال محسوس فيقول: إن فى الدنيا أقوامًا كثيرة يقادون إلى الحق من بطونهم، لا من عقولهم، فكما تهدى الدواب إلى طريقها بحزمة برسيم تظل تُمدّ إليه فمها؛ حتى تدخل حظيرتها آمنة، فكذلك هذه الأصناف من البشر تحتاج إلى فنون الإغراء؛ حتى تستأنس بالإيمان وتهش له.

كما ضرب ﷺ صورة مؤثرة: قوم يبشرون بالإيمان يقابلهم قوم يبشرون بالجمال، وقوم يصحبهم رسول الله ﷺ يقابلهم قوم يصحبهم الشاة والبعير، لقد أيقظتهم تلك الصورة وأدركوا أنهم وقعوا فى خطأ ما كان لأمثالهم أن يقعوا فيه، فانطلقت حناجرهم بالبكاء ومآقيهم بالدموع وألسنتهم بالرضا، وبذلك طابت نفوسهم واطمأنت قلوبهم بفضل سياسة النبى ﷺ الحكيمة فى مخاطبة الأنصار[٢].

من المعجزات النبوية فى غزوة حنين إيصال الله عز وجل قبضته التى رمى بها إلى عيون أعدائه على البعد منه وبركته فى تلك القبضة، حتى ملأت عيون القوم، ونزول الملائكة للقتال معه ﷺ حتى رآهم العدو جهرة، ورآهم بعض المسلمين[٣].

أَهَمُّ الأَحْدَاثِ مَا بَيْنَ حُنَيْنٍ وَتَبُوك:

وبعد الرجوع من هذا السفر الطويل الناجح أقام رسول الله ﷺ بالمدينة يستقبل الوفود، ويبعث العمال، ويبث الدعاة، ويكبت من بقى فيه الاستكبار عن الدخول فى دين الله، والاستسلام للأمر الواقع الذى شهدته العرب، وهاك صورة مصغرة من ذلك.

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٤٩٥ - ٤٩٦).
(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٥٠٢ - ٥٠٣).
(٣) سيرة الرسول أبو عمار ص ٥٨٨.

المُصَدِّقُونَ:

وفى مطلع محرم من العام التاسع للهجرة، بعث رسول الله ﷺ المُصَدّقين إلى القبائل، وهذه هى قائمتهم:

١- عُيينة بن حصن إلى بنى تميم.

٢- يزيد بن الحُصين إلى أسلم وغفار.

٣- عباد بن بشير الأشهلى إلى سُلَيم ومزينة.

٤- رافع بن مكيث إلى جُهينة.

٥- عمرو بن العاص إلى بنى فزارة.

٦- الضحاك بن العاص إلى بنى كلاب.

٧- بشير سفيان إلى بنى كعب.

٨- ابن اللُّتبيَّة الأزدى إلى بنى ذبيَان.

٩- المهاجر بن أبى أمية إلى صنعاء (وخرج عليه الأسود العنسى وهو بها).

١٠- زياد بن لبيد إلى حضرموت.

١١- عدى بن حاتم إلى طيئ وبنى أسد.

١٢- مالك بن نويرة إلى بنى حنظلة.

١٣- الزبرقان بن بدر إلى بنى سعد (إلى قسم منهم).

١٤- قيس بن عاصم إلى بنى سعد (إلى قسم آخر منهم).

١٥- العلاء بن الحضرمى إلى البحرين.

١٦- على بن أبى طالب إلى نجران (لجمع الصدقة والجزية كليهما).

وليس هؤلاء العمال كلهم بعثوا فى المحرم سنة ٩ هـ، بل تأخر بعث عدة منهم إلى اعتناق الإسلام من تلك القبائل التى بعثوا إليها.

السَّرَايَـا

١- سَرِيَّةُ عُيَيْنَة بن حِصْن الفَزَارِيّ:

فى محرم سنة ٩ هـ إلى بنى تميم، فى خمسين فارسًا، لم يكن فيهم مهاجري، ولا أنصاري، وسببها: أن بنى تميم قد أغروا القبائل، ومنعوهم من أداء الجزية، وخرج عيينة

ابن حصن يسير الليل، ويكمن النهار، حتى هجم عليهم فى الصحراء، فولى القوم مدبرين، وأخذ منهم أحد عشر رجلاً وإحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيًا، وساقهم إلى المدينة، فأنزلوا فى دار رملة بنت الحارث.

وقدم فيهم عشرة من رؤسائهم، فجاءوا إلى دار النبى ﷺ، فنادوا: يا محمد، اخرج إلينا، فخرج فتعلقوا به، وجعلوا يكلمونه فوقف معهم ثم مضى حتى صلى الظهر، ثم جلس فى صحن المسجد، فأظهروا رغبتهم فى المفاخرة والمباهاة، وقدموا خطيبهم عُطارد بن حاجب فتكلم، فأمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن شمّاس- خطيب الإسلام- فأجابهم، ثم قدموا شاعرهم الزبرقان بن بدر، فأنشد مفاخراً، فأجابه شاعر الإسلام حسان بن ثابت على البديهة.

ولما فرغ الخطيبان قال الأقرع بن حابس: خطيبه أخطب من خطيبنا، وشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أعلى من أصواتنا، وأقوالهم أعلى من أقوالنا ثم أسلموا، فأجازهم رسول الله ﷺ، فأحسن جوائزهم، ورد عليهم نساءهم وأبناءهم.

٢- سَرِيَّةُ قُطبة بن عامر رضى الله عنه إلى حَيٍّ مِنْ خَثْعَم:

بناحية تبالة، بالقرب من تُرَبَة فى صفر سنة ٩ هـ، خرج قطبة فى عشرين رجلاً على عشرة أبعرة يعتقبونها، فشن الغار، فاقتتلوا قتالاً شديدًا؛ حتى كثر الجرحى فى الفريقين، وقتل قطبة مع من قتل، وساق المسلمون النعم والنساء والشاء إلى المدينة.

٣- سَرِيَّةُ الضَّحّاك بن سُفْيَان الكِلاَبِيّ رضى الله عنه إلى بَنِي كِلاَب:

فى ربيع الأول سنة ٩ هـ، بعثت هذه السرية إلى بنى كلاب؛ لدعوتهم إلى الإسلام، فأبوا وقاتلوا، فهزمهم المسلمون، وقتلوا منهم رجلاً.

٤- سَرِيَّةُ عَلْقَمَة بن مجزز المدلجيّ رضى الله عنه إلى سَوَاحِل جُدَّة:

فى شهر ربيع الآخر سنة ٩ هـ، فى ثلاثمائة، بعثهم إلى رجال من الحبشة، كانوا قد اجتمعوا بالقرب من سواحل جدة للقيام بأعمال القرصنة ضد أهل مكة، فخاض علقمة البحر حتى انتهى إلى جزيرة، فلما سمعوا بمسير المسلمين إليهم هربوا.

٥- سَرِيَّةُ عَلِيّ بن أَبِي طَالِب رضى الله عنه إلى صَنَم لِطَيء:

يقال له: الفُلس - ليهدمه- فى شهر ربيع الأول سنة ٩ هـ، بعث رسول الله ﷺ فى

خمسين ومائة، على مائة بعير وخمسين فارسًا، ومعه راية سوداء ولواء أبيض، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر، فهدموه وملأوا أيديهم من السبى والنعم والشاء، وفى السبى أخت عدى بن حاتم، وهرب عدى إلى الشام، ووجد المسلمون فى خزانة الفلس ثلاثة أسياف وثلاثة أدرع، وفى الطريق قسموا الغنائم، وعزلوا الصفى لرسول الله ﷺ، ولم يقسموا آل حاتم.

ولما جاءوا إلى المدينة استعطفت أخت عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رسول الله قَائلة: يَا رَسُولَ اللَّهِ غاب الْوَافِدُ وَانْقَطَعَ الْوَلَدُ وَأَنَا عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ مَا بِي مِنْ خِدْمَةٍ فَمُنَّ عَلَيَّ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ قَالَ: «مَنْ وَافِدُكِ» قَالَتْ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ قَالَ: «الَّذِي فَرَّ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» قَالَتْ فَمَنَّ عَلَيَّ قَالَتْ فَلَمَّا رَجَعَ وَرَجُلٌ إِلَى جَنْبِهِ نَرَى أَنَّهُ عَلِيٌّ قَالَ: «سَلِيهِ حُمْلَانًا» قَالَ فَسَأَلَتْهُ فَأَمَرَ لَهَا قَالَتْ فَأَتَتْنِي فَقَالَتْ لَقَدْ فَعَلْتَ فَعْلَةً مَا كَانَ أَبُوكِ يَفْعَلُهَا قَالَتْ ائْتِهِ رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا فَقَدْ أَتَاهُ فُلَانٌ فَأَصَابَ مِنْهُ وَأَتَاهُ فُلَانٌ فَأَصَابَ مِنْهُ قَالَ فَأَتَيْتُهُ فَإِذَا عِنْدَهُ امْرَأَةٌ وَصِبْيَانٌ أَوْ صَبِيٌّ فَذَكَرَ قُرْبَهُمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ مُلْكُ كِسْرَى وَلا قَيْصَرَ فَقَالَ لَهُ يَا: «عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ مَا أَفَرَّكَ أَنْ يُقَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَهَلْ مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ مَا أَفَرَّكَ أَنْ يُقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ فَهَلْ شَيْءٌ هُوَ أَكْبَرُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» قَالَ: فَأَسْلَمْتُ فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ اسْتَبْشَرَ وَقَالَ: إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ وَالضَّالِّينَ النَّصَارَى، قال: فإني حنيف مسلم فانبسط وجه النبي فرحا وأمر به فنزل عند رجل من الأنصار وجعل يأتي النبي ﷺ طرفي النهار.

وفى رواية ابن إسحاق عن عدى أن النبى ﷺ لما أجلسه بين يديه فى داره قال له: «إيه يا عدى بن حاتم، ألم تكن ركوميًا»[1]؟ قال: قلت: بلى، قال: «أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع»[2]؟ قال: قلت: بلى، قال: «فإن ذلك لم يحل لك فى دينك» قال: قلت: أجل والله قال: وعرفت أنه نبي مرسل يعرف ما يجهل.

وفي رواية لأحمد أن النبي ﷺ قَالَ[3]: «يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ أَسْلِمْ تَسْلَمْ» ثَلاثًا قَالَ قُلْتُ إِنِّي عَلَى دِينٍ قَالَ: «أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ» فَقُلْتُ: «أَلَسْتَ أَعْلَمُ بِدِينِي مِنِّي» قَالَ: «نَعَمْ أَلَسْتَ مِنَ الرَّكُوسِيَّةِ وَأَلَسْتَ تَأْكُلُ مِرْبَاعَ قَوْمِكَ؟» قُلْتُ: بَلَى قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا لا يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ» قَالَ:

---

(١) الركوسية: دين بين النصارى والصابئين.
(٢) المرباع: ربع الغنيمة.
(٣) رواه أحمد ١٧٧٩٦.

فَلَمْ يَعْدُ أَنْ قَالَهَا فَتَوَاضَعْتُ لَهَا .

وروى البخاري عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ[١]: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ: «**فَقَالَ يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ**» قُلْتُ لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا قَالَ فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لا تَخَافُ أَحَدًا إلا اللَّهَ قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّءٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا الْبِلادَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى قُلْتُ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ قَالَ: «**كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ وَلَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ**» فَلَيَقُولَنَّ لَهُ أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولاً فَيُبَلِّغُكَ فَيَقُولُ بَلَى فَيَقُولُ أَلَمْ أُعْطِكَ مَالاً وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ فَيَقُولُ بَلَى فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلا يَرَى إلا جَهَنَّمَ وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلا يَرَى إلا جَهَنَّمَ قَالَ عَدِيٌّ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**» قَالَ عَدِيٌّ فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لا تَخَافُ إلا اللَّهَ وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ[٢] .

* * *

(١) رواه البخاري ٣٥٩٥ .

(٢) الرحيق المختوم ٣٦٤ - ٣٦٧ .